

صعوبة ترجمة الأدب

د. محمد محيي الدين

جامعة تلمسان

نجد في المعاجم تعريفات متقاربة للترجمة. من أدق ما جاء في معجم "روبير" (Le Robert)، ونصه: "هي جعل ما عُبر عنه في لغة، معبراً عنه في لغة أخرى مع الميل إلى التكافؤ الدلالي والتعبيري للنصين" («Faire que ce qui était énoncé dans une langue le soit dans une autre en tendant à l'équivalence sémantique et expressive»⁽¹⁾).

والترجمة عملية بالغة الأهمية، عظيمة الشأن. ولذلك نجد العلماء يشيدون بالمرجم وينوّهون بعمله. على أنّهم يشيرون إلى صعوبتها وعناء من يقوم بها. قال الأديب الفرنسي "فكتور هوغو" (Victor Hugo)، واصفاً صعوبة هذه العملية ودقتها: "لا ميزان أدق من ذلك الذي نوازن فيه بين المترادفات. إنّ المكان الضيق للفكرة والكلمة يتجلى في هذه الموازنات بين اللغات الإنسانية".

(« Pas de balance plus délicate que celle où l'on met en équilibre des synonymes. L'étroit lieu de l'idée et du mot se manifeste dans ces comparaisons des langues humaines »⁽²⁾).

: "كلّ مترجم يعلن أنّه وفيّ. لكنّ موازنة الترجمة للأصل لا تنتج عن (Cary) ويقول "كاري" : « Tout traducteur se réclame de la fidélité. Mais l'équivalent de la traduction à l'original ne résulte pas d'une simple équation linguistique »⁽³⁾.

وبسبب هذه الصعوبة لا تخلو أعمال المترجمين من الخطأ والنقصان، وإن اجتهدوا بالغ الاجتهاد. ولعلّ ذلك هو الذي جعل بعض النقاد يتحفّظون في أحكامهم على أعمال المترجمين. قال الناقد الفرنسي "سانت بوف" (Sainte-Beuve)، مبدئياً رأيه في ترجمة أحدهم: "ترجمته يمكن أن تظهر دقيقة جداً، ومنسوخة بوفاء عن الأصل" (« Sa traduction peut paraître très exacte et fidèlement calquée sur l'original »⁽⁴⁾).

وإذا كانت الترجمة بصفة عامّة متّسمة بالصعوبة، فإنّ ترجمة الأدب، نصوصه ومصطلحاته أصعب، ومعالجتها أشقّ، وذلك لما للأدب من خصوصيّات. وفيما يلي إشارات إلى الصعوبة التي تواجه مترجم الأدب وتحول دون الكمال الذي ينشده.

إنّ عملية نقل الأدب عسيرة، وذلك لأنّه فنّ، ولأنّ نصوصه ليست كغيرها من النصوص؛ إذ يتلاحم فيها الشكل والمضمون تلاحماً بالغاً، ويترابطان ترابطاً محكماً. ولا يجوز للمترجم أن يقصّر في نقل

أيّ واحد منهما. قال ميخائيل نعيمة في مقال انتقد فيه ترجمة خليل مطران لمسرحية شكسبير "تاجر البندقية": "إنّ بين أفكاره (أي شكسبير) وبين ألبستها اللغوية ترابطاً هو غاية في الدقّة والفنّ. وهذا الترابط هو الذي يُكسبها جلالها الملوكيّ وسلاستها السحرية ورنّتها الموسيقية. فمن ترجمها دون جلالها وسلاستها ورنّتها كان كمن أخذ من الشجرة ساقها بعد أن عرّاه من الفروع والغصون والأوراق"⁽⁵⁾. ومما يجعل ترجمة الأدب صعبة أن تكون النصوص التي يقوم المترجم بنقلها، من الأعمال الأدبية العظيمة، تلك الأعمال التي تحقّقت فيها عناصر الكمال الأدبيّ. ذلك أنّه، إذا كان نقل الأعمال الأدبية التي أنشأها أدباء عاديّون صعباً، فإنّ نقل الأعمال التي ألّفها أدباء كبار أكثر صعوبة، وذلك لما تمتاز به من إتقان. قال ميخائيل نعيمة في المقال السابق، موازناً بين ترجمة هذه الأعمال وترجمة غيرها: "قد تترجم إلى العربية رواية لهيغو أو لتولستوي (وكلاهما من فحول الأدب) فتهمل عبارة أو تضيف عبارة، وتتصرّف في الأصل بما تقتضيه ضرورة الترجمة دون أن تفسد على المؤلّف رأيه وقصده. لكنّ ذلك لا يتسوّى لك مع شكسبير، إذ قلّما تجد فيه كلمة زائدة، أو عبارة محشّوة، أو فكراً يمكنك إسقاطه من الرواية دون أن تزعزع بذلك بنية الرواية بأسره"⁽⁶⁾.

ومما يصعب كذلك عملية نقل النصوص الأدبية: ما تحمله تلك النصوص من عواطف مؤلّفيها، وما تتضمنه من أحاسيسهم. ذلك أنّه إذا كان نقل الأفكار سهلاً إلى حدّ، فإنّ نقل العواطف من الصعوبة بمكان؛ فقد يستخدم المؤلّف من الوسائل الفنيّة، ما يقوم بوصف إحساسه ويوحى بمشاعره. فهل يُوفّق المترجم إلى ترجمة تحمل ذلك على نحو ما تحقّق في النص الأصليّ؟ لا أظنّ أنّ ذلك ممكن في جميع الأحوال.

ومما يصعب كذلك عملية ترجمة النصوص الأدبية، ويحول دون الدقّة والوفاء للأصل: اختلاف الآداب في الوسائل الفنيّة. وأضرب على ذلك مثلاً بما يستخدمه الأدباء من صور جزئية، كالتشبيهات والاستعارات والكنيات وغيرها؛ فإنّ لتلك الصور، فضلاً عن وظيفتها التوضيحية، وظيفة أدبية؛ فهي تؤثر تأثيراً خاصّاً في المتلقّي. على أنّ ذلك التأثير ليس واحداً في جميع الناس؛ فما يتأثر به أبناء لغة قد لا يكون له مثل ذلك في أبناء لغة أخرى. ومن ثمّ تكون الترجمة الحرفيّة لتلك الصور قاصرة عمّا أراد المؤلّف تحقيقه بواسطتها.

وربما ينبغي للمترجم، في هذه الحالة، أن يبحث، في اللغة التي يترجم إليها، عن صور مكافئة للصور التي وظّفها المؤلّف، تؤدّي وظيفتها التعبيرية والأدبية، أي تفيد المتلقّي وتمتعه. ولكنّ ذلك قد لا يتسوّى له ولو اجتهد في البحث.

ومما يُتعب مترجم النصوص الأدبية، ويعرقل عمله اختلاف اللغات في أنظمتها التعبيرية أو أساليبها. وقد يهون هذا الاختلاف إذا وُجد التعبير المكافئ في اللغة المترجم إليها. ولكن قد لا يكون

موجودا. فيحول ذلك دون ما يُطلب في الترجمة من دقة ووفاء للأصل. ففي لغتنا مثلا نجد عدة أساليب، كل واحد منها يُستخدم لغرض معين. ومن هذه الأساليب: أسلوب العَرَض، وأسلوب التحضيض، وأسلوب التندس وغيرها. فهل يجد المترجم في اللغة التي ينقل إليها نصاً عربياً هذه الأساليب أو ما يكافئها؟ لا أعتقد أنه يجد ذلك في كل لغة.

وفي اللغة الفرنسية عدة صيغ للتعبير عن الزمن الماضي، كل واحدة منها تُستخدم لحالة خاصة: هذه تدلّ على حدث في زمن محدد، وتلك تدلّ على حدث في زمن غير محدد، وهذه تُستخدم للدلالة على حدث تكرر أو استمر طويلا، وتلك يُعبّر بها عن حدث سابق لحدث آخر وقع في الماضي كذلك... فهل يجد المترجم في اللغة التي ينقل إليها نصاً أدبياً فرنسياً ما يكافئ هذه الصيغ؟ لا أظن أنه يجد ذلك في كل اللغات.

وإذا تجاوزنا ترجمة النصوص الأدبية وما تتسم به من صعوبة، وذهبنا إلى ترجمة المصطلحات الأدبية، وجدنا أن الأمر لا يقلّ صعوبة عن ترجمة النصوص إن لم يزد عليه. ويعود ذلك إلى ما بين الأديبن، المترجم منه والمترجم إليه، من اختلاف.

ومن أكبر ما يواجه مترجم المصطلحات الأدبية من عراقيل ما يلي:

- أن يكون مفهوم المصطلح مقيّداً في أحد الأديبن، ومطلقاً في الآخر؛
 - أن تتباين المسميات في جانب أو أكثر.
- وهذا يجعل الترجمة تعسّفية، وغير دقيقة.

وأضرب على ذلك مثلاً واحداً أوردته في مداخلة سابقة حاولت فيها أن أتبع مجموعة من المصطلحات الأدبية، مبيناً أنّ ترجمتها لم تكن وقيّة للأصل. وقصدي هنا غير ذلك؛ فأنا أريد أن أوضح مدى صعوبة ترجمة المصطلح الأدبي، لا مدى وفاء تلك الترجمة للأصل. والمثال هو مايلي:

إذا أردنا أن نترجم كلمة "أهجيّة" بمصطلح مطابق أو مكافئ في اللغة الفرنسية، فإننا نجد بعد

البحث - كلمتين هما: «Epigramme»، و«Satire». ولكننا عندما نتبع مدلول كل واحدة منهما في الأدب الفرنسي لا نجد بينهما وبين كلمة "أهجيّة" تطابقاً ولا تكافؤاً.

فكلمة «Epigramme» تُطلق على مايلي:

- 1- "قطعة صغيرة منظومة (أو مقطوعة شعرية)" (7) «Petite pièce de vers»
- 2- "قصيدة صغيرة هجائية (أو انتقادية)" (8) «Petit poème satirique»
- 3- "مقطوعة شعرية هجائية منتهية بمقطع لاذع" «Petite pièce de vers du genre satirique, se terminant par un trait piquant» (9).

ويحدّد بعض النقاد والمنظرين للأدب طول "L'épigramme". يقول "سانت بوف" -Sainte-Beuve): "كان الابغرام، عند القدماء، قطعة صغيرة لا تتجاوز أبداً (إطلاقاً) ثمانية أبيات أو عشرة"

(«L' épigramme, pour les anciens, était une petite pièce qui ne passait guère huit ou dix vers »⁽¹⁰⁾).

ويقول «بوالو» (Boileau) : "الابغرام ليس، في العادة، إلا كلمة حسنة لها قافيتان".
(«L' épigramme n'est souvent qu'un bon mot de deux rimes ornée»⁽¹¹⁾).
ومن مدلولات كلمة «Satire» ما يلي:

1- "قصيدة يهاجم فيها المؤلف عيوب معاصريه وسخافاتهم" (« Poème où l'auteur attaque les vices, les ridicules de ses contemporains »⁽¹²⁾).

2- "نصّ مكتوب، أو خطاب، ينتقد (أو يهاجم) شيئاً، أو شخصاً، بطريقة ساخرة" («Ecrit, discours qui s'attaque à quelque chose, à quelqu'un, en s'en moquant»⁽¹³⁾).

3- "مؤلف حرّ من الأدب اللاتيني، تختلط فيه الأجناس، والأشكال، والأوزان، ينتقد الأخلاق

العامّة". («Ouvrage libre de la littérature latine où les genres, les formes, les mètres étaient mêlés, et qui censuraient les mœurs publiques »⁽¹⁴⁾)
4- غرض الهجاء⁽¹⁵⁾.

وأمام هذه المفاهيم المتعدّدة والمختلفة لكلّ من كلمة «Epigramme» وكلمة «Satire» يقف المترجم حائراً، إذ لا يجد من بينها ما يطابق مفهوم كلمة "أهجيّة" في الأدب العربي أو يكافئه؛ فالأهجيّة، في الأدب العربي، هي قصيدة يعدّد الشاعر فيها عيوب شخص أو غيره، وعدد أبياتها غير محدود، وليس من شروطها أن تكون بأسلوب ساخر، ولا أن يكون الباعث على نظمها هو الإصلاح. تلکم إشارات إلى ما تتسم به ترجمة نصوص الأدب ومصطلحاته من صعوبة، وإلى ما يحول دون تحقيق ما يشترط في كلّ ترجمة من الدقّة والوفاء للأصل. ويمكن الجزم بأنّ مترجم الأدب، وإن كان متمكناً من اللغتين، وحسن الاطلاع على الأدبين، لا غنى له عن موهبة خاصّة تساعد على تحقيق النجاح في عمله.

- (1) Le Robert, dictionnaire alphabétique et analogique de la langue française, Paris : Société du Nouveau Littré, 1969, « Traduire ».
- (2) Id., «Traduction ».
- (3) Ibid.
- (4) Le Petit Robert 2, Paris : Société du Nouveau Littré, 1980, « Traduction ».
- (5) الغريال، بيروت: دار صادر ودار بيروت، ط7، 1964، ص197.
- (6) م.ن.
- (7) Le Robert, « Epigramme ».
- (8) Ibid.
- (9) Le Petit Larousse Illustré, Paris : Larousse, 1999, «Epigramme ».
- (10) Le Robert, «Épigramme».
- (11) Ibid.
- (12) Id., «Satire».
- (13) Ibid.
- (14) Ibid.
- (15) Ibid.